

الترجمة

- تنمة -

وفي المسألة نكتفي بإعادة ما كتبناه بشأنها ضمن مقال سبق نشره في هذه المجلة منذ عامين ، فقد يزعم البعض من المستعربين ويزعم معهم المغرمون بلغات الاجانب والمتشبعون بروح هيجانها وتقاليدها ان العربية لغة عاجزة لم تقدر ولن تقدر على اعطاء الكفاية من حاجة البيان عن كل أغراض المدنية الحديثة فيما أتت وتأتي به بعد اي أنها لغة ضيقة محدودة مقتصرة على القديم قاصرة عن الجديد فيما يعن فيه من شديد الضرورة الى تمام الاعراب عن خواجه الطائفة وشئ معانيه وتصوراتها وضماؤه .

هكذا يقولون وهكذا نراهم يتأدون في الآخر من مقدمات اقوالهم هذه الى نتيجة الدعوى بانها لغة ميتة كاللتيينية واليونانية وغيرهما من اللغات التي اخنى عليها الدهر ولم يبق منها الا النبا والاثر ويضيفون الى ذلك نشر الدعوة فينا الى الاجهاض على ما تبقى في العربية من رفق كما يحسبون والى اقبارها وحشو تراب الهجران عليها واستبدالها بأداة وضعية اخرى في نظرهم اوفق منها للعفاهمة وارحب صدراً وانسب للخطاب .

ولاكن اين حال العربية من مقالهم واين الحق مما يزعمون ؟ لقد سارت هاته اللغة العتيقة ابناءها حذواً بحذو في كل المسافة التي قطعها العنصر العربي في طريق الحياة . باطوارها وتاراتها على ضوء مصباح التاريخ وطبق طبيعة النشوء من البداوة الى الحضارة ومن عبادة الاصنام الى عبادة الخالق ومن رعاية الابل الى رعاية الامم ومن وصف النوق الى وصف النجوم وتحملت صدمات الترجمة عن سائر معلومات اليونانيين وغيرهم منذ عصر الخليفة المامون العباسي فن بعده ووسعت أفكار المؤلفين في سائر الفنون وخواطر الكتاب والشعراء في سائر أبواب القول وأتت على نتائج عقول النوابع من أبناء الاسلام في كل ما مطلب من مطالب الحياة الفكرية فيه من عهده الاول الى هذه العهود التي توسعت فيها المدارك وتضاعفت المتناولات العلمية وغررت بواعث التحرير لدى شعوب الناطقين

بالضاد الذين قد تجدد تهذب معارفهم وتنور أفكارهم وتحرر تقاليدهم الكتابية بقدر ما تعددت فيهم أسباب الادب ووسائل الدراية ، وفوق هذا كله اوفت بالدلالة من كلام الله على كافة معانيه بإشاراته ورموزه واسرارته وتعاليمه ونصائحه وتشريعاته وقصصه وبسائر متعلقات مراده من الخلق .

فلعمري أنها لمن اخصب اللغات جوهرأ وأغناها مصدرأ وأثرها مادة وازكاها روحأ واعلاها بيانأ واقدرها على التعبير عن كل ما تقتضيه الازمان والايوساط من حاجات الضماير وكل جديد من ولائد العصر الحاضر ومعارفه ومخترعاته ودواعي مدنيته .

ولعمري ما الميت في الحقيقة بلغة العرب فانها لا زالت متمتعة بالوجود والمركز اللائق بها من العقول والالسنه ولقد أحاطت بها الحياة احاطة السهاد الصالح بالجدر العريق في التربة المربعة ولكن الناعين عليها الجمود والقصور والناعين لها الفناء والدثور هم الاموات وهي الحية وهي القادرة وهم العاجزون ، ولا تزال اللغة العربية كذلك حية قادرة يحرسها القوآن والدين وترعاها روحها العالية المؤثرة الفاعلة الى ما يحياه القرآن كلام الله القائل : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ولقد وقف ابناء العربية الاولون كما سبق ذكره في صف اولائك الذين فكروا في وجوب توسيع اللغات جرباً منهم وراء حفظ وجودها ففتحوا مجال لغتهم الى كل ما تقتضيه الحياة لان اللغة وسيلة التعامل واداة التفاهم بين الناس وكلما اتسعت دائرة التعامل والتفاهم مست الحاجة الى ترقية اللغة اذ هي واسطة ذلك والا تعطل سير الاجتماع ووقفت حركة العمران .

ولا أدل على اعتناء العرب بتوليد اللغة لتحفظ حياتها الى مدى الخلود مما نراهم قد جعلوه من سنهم لذلك تلك القواعد الكلية التي تقررت عندنا الآن علمياً فحسب وما كان للعمل منها أدنى نصيب كالقلب والابدال بأنواعه والنحت باشكاله والاشتقاق وهو تحويل اللفظ الواحد الى صيغ مختلفة تدل على غير ما دل عليه اللفظ الاصلي وكالارتجال والتعريب وقد كان لاجدادنا اليد الطولى في كلها .

فهذه اللغة التي لها ما ذكرناه من جملة مرافق توسعتها وطرق تهيتها هي التي يطعن الطاعنون اليوم فيها بانها ميتة أو غير كافية لختلف الآلات الجديدة .

ولكن فريق الطاعنين قد يكون معذوراً ما بالنظر الى الصعوبة التي طرأت على اللغة العربية منذ عهد الانحطاط اللغوي المقترن حسب العادة والسبب بالانحطاط الادبي فان الاقدمين كانوا يكتبون عربيتهم سهلة بسيطة يفهمها كل انسان لانهم كانوا اغنياء العقول ولهم من ثروة الفكر ما حداهم لان يعتمدوا الكتابة لمصلحة مسائل العلم أي أنهم كانوا يحفلون بالمعاني التي هي ارواح الالفاظ ومقاصد الخطابات وضائير المتكلمين وما الالفاظ عندهم الا أوعية للمعاني وقوالب الاغراض ثم خلف من بعدهم خلف اضاعوا التراث فقصروا عن شأو السابقين وأعوزتهم الافكار وضاعت بهم سبل الابداع والابتكار فركنوا الى التفتن في سرد أحزاب الكلمات ولوك قشور العبارات حتى صار انشاؤهم تفعراً بالسفاسف والشقاشق وصرنا - بينما نرى مطلق الناس من ابناء اللغات الاجنبية يقرؤ المجلدات في لغته من غير أن تشكل عليه لفظة أو تلتبس عليه جملة - نشاهد حتى العارفين عندنا كثيراً ما يحتاجون للمعاجم لاستيعاب أقصر قطعة شعرية أو مقامة أدبية والعلماء يكتبون أكداً من الشروح على مجرد قصيدة من القصائد كأن العربية حلية للخاصة لا عالة تفاهم بين الناس .

ولم يقتصر الكتاب على التفرع والتعمق في نوع كتابة الادب الصرف بل تسرب ذلك أيضاً الى كتابات جل العلوم والفنون الاخرى وهكذا نقرؤ كتب الاقدمين من أمهات التأليف السابقة فنجدها واضحة جلية ونطالع كتب المتأخرين فنلغها قلقة غامضة جافة وقد تعب وأغرب مصنفوها من أهل الشرح والتعليق والتقرير في تشعب المقاصد وتعمية المعاني على طلابها رغم تخصصها بفنون تمس الحاجة منها الى تسهيل المنال ما أمكن .

شأن اللغة هو شأن الدين أيضاً بعد أن كان سهل التناول سمح الحنيفية واضح البرهان طغى عليه بسطاء المتكلمين فأدخلوا عليه من زياداتهم واشكالانهم ما طمس بياض وجهه وعسر يسره وقلب محاسنه الصحيحة ترهات وأباطيل وصعوبات .

فهذه ناحية من النواحي التي تسرب منها الضعف الى ثقافتنا الكتابية وهي من أسباب اساءة فريق من الناس ظنه باللغة العربية ولو أن هذا الفريق استبطن الواقع لعلم أن الذنب ليس ذنب اللغة وانما هو ذنب الكاتب .

كما أن الطاعنين معذورون أيضاً بالنظر الى خصوص جهة

الفساد العرضي الطارئ على العربية من مخالفات واغرابات وتغييرات المتفرنجين المغرمين بتقليد الاوروبين في مناحي تفكيراتهم الخاصة بدعوى أنه تجديد وانما هو انسلاخ عن الميزة في اللغة وتمرد عن الاوضاع بل قصد الى المحو والتغيير .

على أن البلاد التي تتكلم العربية واسعة الاطراف والوصل بينها عسير ولا زلنا لم تتوفر على القيام بتكوين وحدة تبعث على حشد الجموع ونشر الافكار وتعميم المعارف في سائر طبقات الامة العربية والطبقة العاملة القادرة فينا على شيء من ذلك أقلية تافهة تعجز غالباً عن مواصلة البث والتثيت في الاذهان فأدى ذلك الى تنوع في التراكيب وتباين في المصطلحات غط على جانب عظيم من محاسن وجه العربية واخرى على سلاستها قنام عسر في الفهم على كل مزاو لا يستعين بلغة أجنبية واذا ما تمارينا (لا قدر الله) على ضلال هذا العمل الذي يؤول الى اختصاص كل قطر بأوضاع والفاظ ومميزات على حسب اختلاف الاذواق والمناسبات فقد زداد العربية من جراء هذا الامر صعوبة شاذة تربو على الصعوبة التي اكتسبتها من تجزؤ العنصر العربي قبل الاسلام من طامة الالفاظ المشتركة والكلمات المترادفات .

والحقيقة أن اللغة العربية لغة حية كاملة لا تحتاج الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وانما هي محتاجة كجوهرة ناصعة مؤتلفة تلطخت بأوساخ أكف المتناولين الى تطهير وصقل والى حسن ذوق ومهارة والى سليقة خالصة وملكة لا تعرف العمل والكلفة الامر الذي فهمه الكثيرون من كتاب المشرق فتركوا القديم أي قديم عهد الانحطاط من جهة وتركوا من جهة أخرى هذا الحديث المائل الى تقليد الاوروبين وسلكوا بين ذلك وهذا سبيلاً وسطاً أحسنوا فيه الى العربية كل الاحسان خصوصاً وقد أصبح لهم الآن من العمل للمعاني ما يشغلهم عن العمل للالفاظ ومن المادة العربية ما يغنيهم عن الاقتدار الى الاداة الغربية فجاءت كتاباتهم فكراً جديداً في قالب عتيق .

ان مسألة اللغة مسألة حيوية للمتكلمين بها فهي عنوان حياتهم وظرف آدابهم ومستقر تاريخهم وأداة نهضتهم وشمل وحدتهم ومصباح فكرهم وشعار قوميتهم وأساس صرح كيانهم فيجب علينا أن نبذل لها تمام العناية وأن نفرغ الوسع في القيام بالمحافظة عليها والذب عن حياضها ومن أنفع الوسائل الى ذلك السعي في تخليصها

من برائين الفضول الاجنبى والفوضى الداخلية والسير بها على مهيع
الوضوح والجلاء والسهولة التي هي بعض مقوماتها وجزء من
محاسنها وطرف من مقاصدها التي خلقت لها كآلة من آلات التفاهم
والخطاب والرجوع بها الى صدرها الاول وبساطتها القديمة ،
والكتاب بصدد العمل لغيره لا لنفسه وهو انما يكتب للتفهيم
والتبليغ لا للترزين والتباهي بالالفاظ الامر الذي يطالب طائفة
بالتباعد عن الغريب والحوشي والعناية بالمعنى أكثر من العبارة ،
وبقضي من الاخرى مزيداً في رعاية ميزة اللغة العربية واتباع
تراثها الخاصة .

ثم ان العربية تستلزم علاجاً آخر فانها من حيث كثرة مفرداتها
وتنوع مصطلحاتها الراجع جل سببه الى اختلاف قبائل العرب
قديمًا ثم الى مسايرتها حياة أهلها في شتى الاقطار التي ملكوها وبين
كثير الامم التي ساكنوها بعد ثم الى تفرق الشعوب العربية المتحضرة
الآن للافكار العصرية تظهر للناس الذي لم يسر غورها ولم يستوعب
كنوزها لغة فوضوية النظام مبعثرة المواد عسيرة الجمع كثودة الحمل
على ان ذلك نحسبه بحق ثروة نباهي بها اللغات ونفاخر بها الآداب .
الا انا نرى من أهم وسائل المحافظة على لغتنا السمحاء أيضاً
ضبط مفرداتها وتوحيد مصطلحاتها بل حصرها فيما نحتاج اليه
منها جرياً مع مقتضيات الوقت فنتمشى عليه وتكون عربيتنا في
مقدور معرفة كل احد من غير أن نهمل شيئاً من التراث العظيم
الذي تركه الاجداد وانما نجعله ذخيرة نتفهم بها أدب الجزيرة ونرجع
اليها في مناسبات ومقاصد خاصة من كتابة الشعر والادب الصرف ،
وقد سبق لنا استعمال شيء منها في المجلة نفسها اردنا به أن نصور
للقرءاء أمراً يتول فيه أهل اللغات الاجنبية الى ريشة الرسامين لا
غير فان الاجناس تجد في لغاتها وتجد في كتابتها الكفاية التامة
للوازم اعرافها وضروريات احوالها والمعتمدين . بالضاد في مثل
الحرييات هاته احدى كلماتها معجمة والاخرى مهملة وتلك تتضمن
عبارات تقرأ طرداً ورداً واخرى حروفها احداها منقوط والاخر
من غير نقط وغير ذلك من وسائل التفنن في الالفاظ مجال واسع
وميدان فسيح للتفكهة وترويح الفكر ، ولاهل الكتابة العربية في
هندسة التخطيط وارسال الحروف تتعاقب على الصفائح والجدران
في تزيين المنازل والديار من التحفة للنظر ما يتطلبه كثير من الامم
سواهم من التماثيل والصور .

وكذلك من وسائل حماية اللغة ترقية أسلوب التعليم ونبذ
الكتب المتناولة التي تدخل الملل على الطالب وتجعله يسيء ظنه
بالعربية .

والحق الذي لا خطأ معه أن جل هاته المؤلفات ان لم نقل كلها
صعبة المنال عديدة الجدوى على التلاميذ بل طامة كبرى على نفائس
عقولهم وأفكارهم ومواهبهم وضنائن أعمارهم التي يضعونها في تفهم
العبارات الكزة التي تنفر من العربية وتدعو الشبان الى استنكارها
وطلب العلوم في غيرها .

فلاغرو أن نرفع الصوت بوجوب نبذ هذه الكتب وطرحها
مع المهجورات معتقدين أنه من أنفع الوسائل لايجاد نهضة في
العلوم وحياة جديدة في اللغة ولا غرو أن نود تنفيذ الفكرة فيه
ولو أدى الى ما أدى اليه من الاخناء على الاكسداس المتراكمة من
الشروح والتعليق والطرر والذبول والحواسي والتكامل .

ولعل ما كتبناه في خصوص هاته المسألة به كفاية ، واذا ما
ذهب بنا الموضوع الى التوسع في الحديث عن اللغة فلأن الترجمة
ليست كما يظنها عموم الناس عملية ميكانيكية لنقل الكلام من لسان
الى آخر بل الترجمة صناعة دقيقة تقتضي اطلاعاً واسعاً وعلماً
غزيراً ولا بد المترجم أن يحيط معرفة بمواطن الضعف من اللغة
ووجوه علاجها ليتمكن أن يراعي ما يصلح في تعاطي صناعته .

وقد اهتم المؤتمر الاسلامي في اجتماعه سنة ١٣٥٠ بالمسألة
اهتماماً زائداً فقرّر وجوب عمل معجم للعربية يؤلف على احدث
نمط وصلت اليه الامم الراقية تذكر فيه المصطلحات العلمية والفنية
الحديثة وتشرح فيه الكلمات شرحاً يتفق مع آخر ما وصل اليه
العلم . وفي سنة ١٣٥١ أصدر جلالة السلطان فؤاد ملك مصر
مرسوماً بتأسيس مجمع باسم مجمع اللغة العربية الملكي يكون من
جملة أغراضه « المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية
بمطالب العلوم والفنون في تقديمها ملائمة على العموم لحاجات
الحياة في العصر الحاضر وان يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية
وأن ينشر ابحاثاً دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغيير مداولاتها » .
ولا ريب أن مصر ستؤدي بهذا المشروع العظيم للعروبة
خدمة يخلدها لها الدهر ويحفظها لها الزمان ، الا ان الاخوة التي
تجمعنا بأرض الكنانة تسمح لنا بابداء ملاحظتين : أما الاولى فان
المغارب الثلاث لم تعط في المجمع عدداً من المقاعد يناسب منزلتها

فقد تشتمل هاته الاقطار على الثلث من مجموع الناطقين بالضاد وعلى اثنتين من الكليات الثلاثة التي يعدها العالم الاسلامي من أكبر مفاخره، وهي وارثة الحضارة الاندلسية ولها بفضل قربها من اوربا واتصالها بالكليات الافرنسية اطلاع واسع بالعلوم والفنون العصرية وأما الثانية فان جلسات المجمع الوقور قليلة جداً بالنسبة الى العمل الموكول الى مقدرته والجهد الذي تتطلبه منه الامم الاسلامية المضطرة الى السرعة في بناء صرحها الجديد .

ثم انا رأيناه في جلساته الاولى يسير على منهج « أكاديمية » فرنسا فأطال البحث في كلمات صارت من المتداولة تحت أقلام الكتاب مثل «الفنون الجميلة» وقرر استبدالها بـ «الفنون الرفيعة» وقد تكون هاته الترجمة أوفق وقد يسوغ لاصحاب الترجمة الاولى

أن يعارضوها بحجة أن الجمال المقصود هنا هو الجمال من حيث الفن وعلى كل حال فالمسألة لا تستحق المناقشة التي تستغرق الوقت الطويل ما دمنا مطالبين بأعمال أهم منها بكثير، فان مهمة المجمع العربي في نظرنا غير مهمة «الأكاديمية» الافرنسية فان هاته أسست لمسايرة اللغة، وأما مجعنا فهمته في نظرنا القصير يجب أن تكون مهمة «تكوين» وانا لندرجو منه أن يخرج لنا في سنوات قليلة معجماً تاماً للعربية يشتمل على اسماء المسميات والمصطلحات الجديدة وبعبارة أخرى ننتظر منه أن يكون قبل كل شيء مجعاً للترجمة التي جادت على العالم العربي بأمثال ابن المقفع والحسن بن سهل وعليّ ابن زياد وزكي باشا وغيرهم من الكتاب، وله بعد ذلك أن يباشر ما عن له من المباحث والدراسات .

م .

المياه النافعة

لا شيء من ثروات المغرب الطبيعية أنفع وأعز من المياه التي تتدفق من بعض العيون كمين « لالة حية » التي تنبع بوادي أكنور ما بين بلاد أزموور وبلاد زيان ولماس الثابت نفعها عند كل من يعرف خصائصها .

وقد ينسب سكان تلك النواحي أصلها الى المولى يعقوب الذي كان وقف نفسه على البحث عن المياه النافعة للصحة فيذكرون انه تاه ذات يوم بوادي أكنور وأخذ التعب والحر والعطش منه كل مأخذ، وكان فصل الصيف والوادي لا ماء فيه، ولما احس بالضعف قام للصلاة وكان وقتها قد حان فاتكأ بيده على صخرة كانت هناك فسقطت الصخرة وانفجر الماء من الارض فاطلق المولى يعقوب على العين اسم « لالة حية » لانها ردت اليه الحياة .

ويحكى آخرون ان « لالة حية » اسم بنت له من امرأة تزوجها هناك .

الى غير ذلك من الاساطير التي تدل على أهمية هذه العين ومبلغ اعتقاد الناس في منافع مياهها عن تجربة واختبار.

وقد كلف المشير ليوطي الذي لا يحفل احترامه للعوائد واهتمامه بصحة الشعب طيبه الخاص بالبحث عن هذه العين، وحل ماءها علماء الحكومة الحامية . ثم ان جلالة السلطان كلف أخيراً بظهير شريف شركة قوية باستغلال الماء المذكور وجعله في متناول العموم مع كل الضمانات الصحية التي تتطلبها قوانين الدولة .

فهذا هو الماء الذي يباع الان في كل محل تحت اسم (بدّا) وقد اختير هذا الاسم لسهولة النطق به لدى مختلف السكان وهو ايضاً اسم امرأة حربية معظمة في بلادها وكانت تعيش بأكنور بالقرب من العين المذكورة .

فاشربوا من ماء (عين بدّا) ملك الحكومة المغربية، فهو تقي وصحي ومقوي وثمنه زهيد للغاية، ويوجد لدى كل بائع نزيه يهتم بزبائنه .

شركة استغلال المياه المعدنية بولماس